

تفسير السعدي

@ 188 @ عليهم ؛ ويبدأ بالأهم ، والأسهل فالأسهل . ومنها : أنه لو فرض عليهم القتال مع قلة عددهم وعددهم ، وكثرة أعدائهم لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام . فروعي جانب المصلحة العظمى ، على ما دونها ، ولغير ذلك من الحكم . وكان بعض المؤمنين ، يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال ، غير اللائق فيها ذلك . وإنما اللائق فيها ، القيام بما أمروا بها في ذلك الوقت ، من التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ونحو ذلك كما قال تعالى : ! 2 ! 2 . فلما هاجروا إلى المدينة ، وقوي الإسلام ، كتب عليهم القتال ، في وقته المناسب لذلك . فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك ، خوفا من الناس ، وضعفا وخورا : ! 2 2 ! ؟ وفي هذا تضجرهم ، واعتراضهم على ﷺ . وكان الذي ينبغي لهم ، ضد هذه الحال التسليم لأمر ﷺ ، والصبر على أوامره . فعكسوا الأمر المطلوب منهم ، فقالوا : ! 2 ! 2 أي : هلا أخرت فرض القتال ، مدة متأخرة عن الوقت الحاضر وهذه الحال ، كثيرا ما تعرض لمن هو غير رزين ، واستعجل في الأمور قبل وقتها . فالغالب عليه ، أنه لا يصبر عليها وقت حلولها ، ولا ينوء بحملها ، بل يكون قليل الصبر . ثم إن ﷺ وعظهم عن هذه الحال ، التي فيها التخلف عن القتال فقال : ! 2 2 ! أي : التمتع بلذات الدنيا وراحتها ، قليل . فتحتمل الأثقال في طاعة ﷺ ، في المدة القصيرة ، مما يسهل على النفوس ويخف عليها . لأنها ، إذا علمت أن المشقة التي تنالها ، لا يطول لبثها ، هان عليها ذلك . فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة ، وأن الآخرة خير منها ، في ذاتها ، ولذاتها ، وزمانها : فذاتها كما ذكر النبي صلى ﷺ عليه وسلم في الحديث الثابت عنه (أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) . ولذاتها ، صافية عن المكدرات ، بل كل ما خطر بالبال ، أو دار في الفكر ، من تصور لذة فلذة الجنة فوق ذلك كما قال تعالى : ! 2 2 ! . وقال ﷺ على لسان نبيه : (أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) . وأما لذات الدنيا ، فإنها مشوبة بأنواع التنغيص ، الذي لو قوبل بين لذاتها ، وما يقترب بها من أنواع الآلام ، والهموم والغموم ، لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه . وأما زمانها ، فإن الدنيا منقضية ، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير . وأما الآخرة ، فإنها دائمة النعيم ، وأهلها خالدون فيها . فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين ، وتصور حقيقتهما حق التصور ، عرف ما هو أحق بالإيثار ، والسعي له ، والاجتهاد لطلبه ، ولهذا قال ! 2 : ! 2 ! أي : اتقى الشرك ، وسائر المحرمات . ! 2 2 ! أي : فسعيكم للدار الآخرة ، ستجدونه كاملا موفرا ، غير منقوص منه شيئا . ^ (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في

بروح مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هـ ذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هـ ذه من عندك
قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً (^ ثم أخبر أنه لا يغني حذر
عن قدر ، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئاً فقال : ! 2 2 ! أي : في أي زمان ، وأي
مكان . ! 2 2 ! أي : قصور منيعة ، ومنازل رفيعة . وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله ،
تارة بالترغيب في فضله وثوابه ، وتارة بالترهيب من عقوبة تركه ، وتارة بالإخبار أنه لا
ينفع القاعدين قعودهم ، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك ، وقصرها . ثم قال : ! 2 2 ! الآية
 . يخبر تعالى ، عن الذين لا يعلمون ، المعرضين عما جاءت به الرسل ، المعارضين لهم :
أنهم إذا جاءتهم حسنة ، أي : خصب وكثرة أموال ، وتوفر أولاد وصحة ، قالوا : ! 2 2 !
وأنهم ، إن أصابتهم سيئة أي : جذب ، وفقر ، ومرض ، وموت أولاد وأحباب قالوا : ! 2 2 !
أي : بسبب ما جئتنا به يا محمد . تطيروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تطير أمثالهم
برسل الله ، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم ! 2 2 ! . وقال قوم صالح : ! 2 2 ! . وقال
قوم ياسين لرسولهم : ! 2 2 ! الآية . فلما تشابهت قلوبهم بالكفر ، تشابهت أقوالهم
وأفعالهم . وهكذا كل من نسب حصول الشر ، أو زوال الخير ، لما جاءت به الرسل أو لبعضه ،
فهو داخل في هذا الذم الوخيم . قال الله في جوابهم : ! 2 2 ! أي : من الحسنه والسيئة ،
والخير والشر . ! 2 2 ! أي : بقضائه